الحقيبة الدامية!

هؤلاء الأطفال الأشقياء . فى سن معينة يبدأت . لديهم حب الاستطلاع والفضول . فى اليوم السادس والعشرين من اغسطس عام ١٩٦٥ . أخذ طفل فى الخامسة من عمره يتمشى فى أحد شوارع امستردام بالقرب من امه . وتمحاذاة شاطىء قناة وعند مستنقع اسود لمح الطفل حقيبة معدنية تطفو فوق سطح الماء !

زهيرة البيلى

حاولت الأم على الفور إبعاد طفلها عن تلك الحقيبة القذرة التى طفت فوق الماء الملوثة . ولكن كان للطفل الفضولى رأى آخر . لقد ألح بشدة لإخراج الحقيبة وفتحها .

مرت لحظات جاء بعدها أحد المارة وتمكن من إخراج الحقيبة المعدنية الثقيلة . فلما وضعها الرجل على الرصيف . انسابت من بين أقفالها مياه قذرة عفنة . ووقفت الأم وطفلها وانضم إليهما اثنان أو ثلاثة آخرون . الجميع راحوا يتأملون الحقيبة فى انتظار فتحها .

أحس الرجل بأن كل من حوله ينتظرون بشغف فتح الحقيبة . وتمجرد أن لمس أقفالها انفتح الغطاء المبلل بالماء . مع بعض القلق والتردد وبأطراف أصابعه رفع الرجل جزءاً من قماش فلمحوا شكلاً شديد البياض . !

بدت الأم شاحبة الوجه وكتمت صرخة مرعبة . وتراجع الرجال إلى الوراء من شدة التقزز والقرف . أما العلام الفضولى فكان الوحيد الذى تساءل قائلاً : « من بالحقيبة يا أمى ؟ ! » . . إنه لحم بشرى غارق منذ أيام فى مياه المستنقع !

جذبت الأم طفلها بشدة لتبعده عن المكان وأخذت تؤنبه على فضوله الزائد .

وعلى مائدة التشريح وضع الطبيب الشرعى الحقيبة المصنوعة من الألمونيوم . ليخرج منها جذع . شاب . مجرد جذع . فلم يكن للجثة رأس أو أطراف . وكان السؤال . كيف يمزق إنسانا بهذه الطريقة الشعة . وأية همجية ووحشية هذه ؟ !

وفى اليوم التالى استعرض المأمور مجموعة الصور الفوتوغرافية التى التقطت للجثة . وأخذ يتأمل مع مساعديه هذا المنظر البشع . . وتحت عنوان « الحقيبة الدامية » احتلت الجريمة العناوين الأولى للصحف .

وفى أول الأمر ترددت الصحف فى نشر صور المأمور الذى رآه الصحفيون : طويل القامة نحيفا وملابسه بالية . ولا تتمشى مع الموضة . . لقد عمل طويلا فى مهنة شاقة . لكنها مثيرة . إنه يستعد للمعاش بعد أن أحس بالإرهاق والتعب . وبعد أن واجه الفشل خلال عمله أراد أن يحقق نجاحا فى هذه العملية الصعبة . . المستحيلة تقريبا . آخر عملية يجتم بها سلسلة مغامراته الشاقة . . وكان يقول :

« يعتقدون أنى أحمق . لكنى سوف أخدعهم هذه المرة . »

وأسفر البحث بين بقايا ملابس الجثة عن وجود قطعة من العملة الفرنسية . . كما اتضح أن الجثة صنعت فى اليابان وكذلك الملابس الداخلية للقتيل . . ومعنى هذا احتمالان :

الأول : أن القتيل يمكن أن يكون فرنسيا .

الثانى : إذا كان يابانيا فسوف يلاحظ هذا على الفور .

وبناء على تقرير الطبيب الشرعى ثبت أن طول الرجل حوالى مائة وستين سنتيمترا . . وهو ما يوضح أنه فى سن البلوغ . وهذا الطول يناسب أيضا رجلا يابانيا وليس فرنسيا . أما البشرة البيضاء فلا تدل على الكثير . . ذلك أن للموت تأثيراً واضحا . خاصة أن الجثة بقيت لأيام فى مياه ملوثة . وقد حددها الطبيب الشرعى : ما بين خمسة وستة أيام . ولذلك فمن الصعب معرفة لونها الحقيقى .

وبهض المأمور ليسدل ستائر النافذة . فقد بدأت الشمس تملأ مكتبه الصغير الضيق . ثم أخذ المأمور فى النظر فى الأعمال الروتينية المعروفة : حالات

اختفاء أو حسابات فنادق لم تسدد . أو سيارة لا صاحب لها تقف فى شوارع امستردام وقد غطتها الأتربة .

. . وكانت الإجابة سريعة كالمعتاد : لم تسجل أية حالات اختفاء من الجنسيتين الفرنسية أو اليابانية . . ولكن تم العثور على سيارة « بانهارد » حمراء تقف فى أحد شوارع امستردام . سيارة لم تتحرك من مكانها منذ شهر تقريبا .

وطبقا للإجراءات المعتادة أبلغ الأنتربول . وجاء الرد فى نفس اليوم يفيد بأن السيارة فرنسية وأن صاحبها عامل بناء إيطالى يقيم فى مدينة فرنسية صغيرة . وأنه متزوج وأب لمجموعة من الأطفال وأن هذا العامل كان قد اختفى منذ شهر ونصف شهر تاركا خلفه عدة فواتير لم تسدد .

لم يغادر المأمور مكتبه طيلة اليوم . وعندما عاد إلى منزله لم تستطع زوجته الاقتراب منه أو التحدث إليه . فجلس أمام التلفزيون . ولكن دون أن يراه . . فقد سيطرت عليه فكرة واحدة :

كيف يختفى هذا العامل فجأة . تاركا خلفه الزوجة والأطفال ليعثر عليه ممزقا داخل حقيبة وسط قناة امستردام ؟ .

وفى اليوم التالى ارتدى المأمور ملابس خفيفة فقد ارتفعت فجأة درجة الحرارة فلما جلس إلى مكتبه . حيث خدم عشر سنوات ليستتب الأمن والنظام فى هولندا ولما أوشك على ترك الخدمة وبرفقته « قرحة المعدة » وحية أمل ظلت تلازمه . جاء التقرير عاجلا يفيد بأن العامل الإيطالى أخر يوم ١٢ أغسطس أى قبل ارتكاب الجريمة . على متن ناقلة بترول نرويجية .

وفى نفس الوقت جاء تقرير آخر يسجل حالتى اختفاء . الأولى لطالب يابانى فى السابعة والعشرين من عمره يدرس بالجامعة وقد اختفى منذ شهر تقريبا . والثانية عن اختفاء عامل يونانى فى الخامسة والعشرين من عمره . اختفى منذ أسبوع واحد .

وبعث المأمور مساعديه للبحث والتحرى حول ظروف اختفاء الرجلين . بينما جاءت امرأة فى الأربعين من عمرها فى حالة ضيق شديد . إذ وجدت نفسها مضطرة لدخول قسم البوليس لتبلغ أنها قد اكتشفت فى الأسبوع الماضى « رأسا » عائما فوق مياه القناة . وبررت المرأة تأخيرها فى البلاغ بأن « الرأس » كان مغطى بحقيبة من النايلون . فلم تظن فى أول الأمر أنه يمكن أن يكون رأسا آدميا . ولكن عندما قرأت فى الصحف قصة « الحقيبة الدامية » فكرت على الفور أنه يمكن أن يكون رأسا آدميا .

ورفع المأمور سماعة التلفون على الفور يطلب من المحافظة إمكانية مسح القناة كلها . . ثم علم المأمور أن الطالب اليابانى قد رحل حاملا متاعه . أما صديقه العامل اليونانى فقد شرحت صديقته أنه كان يرتدى ملابس داخلية صناعة يابانية .

ولم يكن فى وسع المأمور سوى أن يهز رأسه . فلا يمكن أن يستخف بأى دليل . ولم يجد أمامه سوى العودة ثانية لهذه الحقيبة . فلابد أنها تحمل أشياء أخرى تنتظر الكشف عنها . وعليه أن يحاول . . فقام بفحص بقايا الثياب . أعاد ترتيبها وتكوينها . ثم قام بتحليل نوعية ألياف أنسجتها . وبالاطلاع على الصور اكتشف أن للحقيبة بطانة .

وفى اليوم الثانى أى فى يوم ٢٩ أغسطس عام ١٩٦٥ أخذ المأمور يتجول ذهابا وإيابا فى أنحاء معمل بوليس أمستردام . أمامه على المائدة « الحقيبة » التى ظل يفحصها مرات ومرات . وعثر فى النهاية على ملابس رياضية . لا يرتديها إلا المصارعون . وتحمل علامة ناقصة تدل على ناد رياضى معين .

ومال المأمور لفحص تلك العلامة . لكن قطع القماش بدت غريبة للغاية . ذلك أن هذه الأقمشة قطعت بمقص مخصوص لا يستخدمه إلا مصممو الأزياء كما أن المقص ماركة يابانية أيضا .

ربط المأمور بسرعة بين هذه المعلومات الجديدة وبين انفتاح السوق الدولية لعرض أزياء الرجال الذى أقيم فى « كولونيا » وافترض أن القتيل قد اشترك فى هذه السوق التجارية فأبلغ البوليس الألمانى ليتولى التحريات . كما بعث بهذه الملابس إلى طوكيو ليعاد تشكيلها .

ثم دق جرس التليفون . .

وتركت آخر سفينة يابانية أرض امستردام وبعد وقفة قصيرة . . يوم ١٢ أغسطس ولم تسجل أية حالة اختفاء .

لذلك لم يجد المأمور أمامه سوى العودة إلى ذلك البحار اليونانى الذى كانت تصله خطابات منتظمة من بلده . ثم انقطعت منذ اختفائه . . وهو الشىء الذى يبين أنه قد يكون غير محل إقامته .

وفجأة من شدة الدهشة صاح أحد العاملين بالمعمل الجانبى لبلقط المأمور من على الأرض بطاقة زيارة : عثر عليها داخل بطانة الحقيبة . وقرأ المأمور اسما وعنوانا ورقم التليفون .

لم يكن هذا هو كل ما فى الأمر فقد أخرج الموظف من البطانة ورقة بيضاء أخرى تحمل الحروف المختصرة لكلمة « سوق القصادية » .

وتحولك الانتربول مستندا إلى هذه المعلومات الجديدة مبتدئاً باليابان حتى أفريقيا ومن هولندا حتى فرنسا ، مارا بألمانيا حيث تقام سوق لأحدث أزياء الرجال .

وتجمعت كل هذه الأبحاث داخل المكتب الصغير الذى تخلوه الشمس مع حرارة أسترداى الخانقة ولم يفارق المأمور التليفون لحظة .

وجاء تقرير الانتربول كالآتى : تم العثور على الفرنسيين المختفين فقد ثبت أنهما يقضيان عطلتهما فى أمان . لذلك استبعدا عن أية شبهة . ولكن لذكر أحدهما أنه قد أعطى عنوان « السوق الاقتصادية » لأحد اليابانيين . الذى أراد التعرف والاتصال ببعض العملاء الأفارقة . وكان هذا اليابانى يعمل فى مصنع للمنسوجات فى طوكيو . وبعد الاتصال بذلك المصنع تبين أنه يدعى سوزوكى وأنه فى الثانية والثلاثين من عمره . وأنهم لم يتلقوا عنه أنه أخبار منذ خمسة عشر يوما ، كما أن هذا المصنع يسلم العاملين به حقائب معدنية ممائلة . وكان « سوزوكى » يحمل مبلغا ضخما من النقود .

وعندما وصل المأمور يوم ٣١ أغسطس عام ١٩٦٥ إلى مكتبه كان فى انتظاره اثنان من رجال البوليس اليابانى وصلا حالا من طوكيو وقد تعرفا أخيرا على الجثة . لقد كان القتيل بالفعل هو ذلك الياباني . مندوب مصنع المنسوجات الذى كان يحمل معه بالتحديد مبلغ خمسة آلاف دولار . وقد ترك المسكين خلفه زوجة على وشك الوضع وطفلا فى الثالثة من عمره .

وأمام هذه الأحداث الجديدة . كان على المأمور التحرك بسرعة للقبض على القاتل . فركز على ثلاثة أشخاص :

(الأول ياباني فى السادسة والعشرين من عمره كان قد غادر « بروكسل » يوم ٥ يوليه . ولكنه عندما قرأ عنوانه بالصحف سارع بالاتصال تلفونيا بالمأمور الذى طلب منه إثبات مكان وجوده فى الفترة التى تبدأ يوم ٢١ أغسطس عام ١٩٦٥ . فقال الرجل إنه كان فى « لوكسمبرج » ولم يغادر مكان عمله منذ شهر يولية .

. . أخذ المأمور ينصت إلى الرجل وعيناه على تلك الخريدة التى وضعت نوا على مكتبه فقد نشرت الصحف التحقيق كاملا . وكانت حقا كارثة بالنسبة للمأمور . ذلك أن القاتل سوف يأخذ حذره منذ تلك اللحظة التى نشر فيها الموضوع . أما إذا احتفى اليابانيان الآخران فسوف تشير إليهما أصابع الاتهام . . وطلب المأمور من البوليس البلجيكى استدعاء الرجلين وأثناء فترة الإنتظار قرأ المأمور للمرة الثانية محضر التحقيق الذى جاء فيه أن سوزوكى غادر منزله يوم ٢١ أغسطس فى حوالى الساعة الثانية عشرة والربع . وبعد ذلك بلحظات عثر على باب حجرته محطماً .

ثم ظهر « سوزوكى » فى استرداى فى حوالى الساعة الخامسة والربع . ولم يكن يحمل معه الحقيبة المعدنية . إذن فالاحتمال الوحيد أنه تركها فى أمانات محطة السكة الحديد . ومن المفترض أيضا أنه كان يحمل بطاقة استلام الحقيبة . وهنا تصور المأمور أن القاتل كان على علم بكل تحركاته منذ كان فى بروكسل . وأنه كان يحاول الاستيلاء على المبلغ وعندما اكتشف أنه توجه إلى « استرداى » تتبعه إلى هناك وغاليا بسيارة فلما رآه بالقرب من المحطة قتله . وربما تحت الخريطة أيضاً داخل السيارة . وعندما استولى على بطاقة استلام حقيبة النقود . تحولت الحقيبة إلى نعش « سوزوكى » .

. . دق جرس التليفون فى الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة ليرد المأمور على « بروكسل » ويفاجأ بأن الشاهد المطلوب عثر عليه قتيلا . فقد خنقه اللعاس أثناء قيادة سيارته فاصطدم بدعامة كوبرى .

وكان المأمور فى الساعة الحادية عشرة فى انتظار البلاغ عن الياباني الآخر الذى كان يعمل صحفيا وكان فى نفس الوقت صديقا لسوزوكى وصديقا لليابانى الذى قتل أخيراً فى حادث السيارة . وفى الساعة الحادية عشرة والنصف دق جرس التليفون : وعلم المأمور باختفاء الشاهد الياباني الثانى الذى فارق الحياة فيما بعد إثر أزمة قلبية .

تصميم محمد ابراهيم

ولم تتوقف المكالمات التلفونية طيلة اليوم . وجاء تقرير « بروكسيل » يفيد بأن سرعة سيارة اليابانى القتيل كانت ١٢٠ كيلو مترا فى الساعة بينما السرعة المسموح بها ٥٠ كيلو مترا فقط . الشىء الذى يؤكد أنها كانت عملية انتحار .

ومن « بروكسل » أيضا جاء تقرير يفيد بأن الصحفى فاجأته السكتة القلبية أثناء كتابته مقالا كلفته به جريدته عن عملية « الحقيبة الدامية » فى أمستردام .

ولم يكتب الصحفى فى المقال سوى السطور الخمسة الأولى فقط .

وحزن المأمور حزنا شديدا . كيف تنتهى جريمة الموسم بهذه الطريقة وسط بحر من الألغاز تاركة وراءها علامات استفهام لانهاية لها . فأهم شاهدين أو زعما القاتلان اختفيا إلى الأبد . وهنا اعتقد المأمور أنها قد تكون عملية جاسوسية صناعية . ثم بين أكبر بيوت الأزياء . فالمعروف عن هؤلاء اليابنيين أنهم يأتون إلى أوربا ثم يقومون بسرقة أحدث الموديلات المعروضة . ثم يعودون إلى بلادهم ليقلدوها ويصنعوها بنصف الأسعار . وبذلك ينافسون السوق الأوروبية .

وفكر المأمور فى أنها يمكن أن تكون مجرد تصفية حساب بين شركات يابانية منافسة . ومن الجائز أن الصحفى كان على علم بكل هذا . فكيف يموت فجأة وهو يكتب السطور الخمسة الأولى من مقال عن جريمة تخصه مع أنه كانت هناك صلة تربطه بالضحية .

دارت هذه الأفكار بسرعة فى رأس المأمور فقال لنفسه : « نعم كنت على حق ، ولكنى كنت أيضا غبيا وكنت أمام تلك الأدلة الجديدة أحس بالأمل وكنت أتمنى أن أنهى عندى بالنجاح » .

■ والحقيقة أن قصص الجاسوسية ليست من اختصاصه . فهى عمليات لاتتلاءم مع أناس مثله . فقام بإغلاق باب مكتبه . وفى نهاية الطريق مع هذه المهنة الشاقة تحول المأمور إلى طفل صغير فضولى . أى أنه عندما يسأل تكون الإجابة دائما « هذه أمور لا تعنيك » . ■

ولما بيصطادو الكلاب
نقفل احنا بقى ولا أيه..
مستشفى الكلب
الكلاب الضاله
تأليف
حكايه قصيره
اى ... اى
لا ... ممكن ناخد البيه وتسيب بوبى حبيبى
مش كان أحسن نحدد النسل بدل ماهم نازلين ضرب بالنار فينا
مين قده معاه رخصه محدش قادر يكلمه
١
٢
٣